# القصص القرآني

سلسلة لقاءات قدمت في رمضان 1439 هـ

## إبراهيم عليه السّلام

أ. أناهيد السميري

اللّقاء الثّاني عشر

مدونة علم ينتفع به

www.tafaregdroos.blogspot.com

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكنّ سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصّالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله عزّ وجلّ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

# مقدّمة:

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبا مُباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن أحبّه وأحبّ أنبياءه ورُسُله الّذين اصطفاهم على الخلق، وأمرنا بمحبّتهم؛ رُسُله الّذين طهّرهم وجعلهم قُدوة، وأمر السّائرين إليه بمتابعتهم.

نسأل الله عزّ وجل أن يرزقنا محبّتهم ومتابعتهم خالصًا لوجهه، وفي متابعتهم الْغُنْمُ والسّلامة، يسلم الإنسان من الضّلال، ويغنم الهداية؛ ولذلك تكرّر الخبر عنهم في كتاب الله، لترى مواقف هؤلاء العُظماء الّذين اصطفاهم الله، فتكون كلمة لا إله إلا الله مبنيّة على معرفةِ حقّها، وطريقة الوصول إلى تحقيقها، وهذا لا يكون إلاّ من طريق الأنبياء؛ فأكثر الله عزّ وجلّ خبرهم في القرآن من أجل أن تتحقّق لنا كلمة لا إله إلاّ الله.

فلا إله إلاّ الله حقًّا وصدقًا، اعتقادًا مبنيًّا على ما نجده في فطرتنا، واعتقادًا مبنيّا على ما نسمعه من كلام الرُّسل الكرام؛ ولهذَا كان اختيار الكلام حول: الإيمان بالرّسل، هذا الرّكن العظيم؛ واختيار إبراهيم عليه السّلام، الخليل، الّذي جاء الخبر الصّحيح بأنّ الله عزّ وجلّ قد اتّخذه خليلًا، كما تناقشنا أمس.

وإنّ المناقشة لم تكن كافية، ولا شافية، ولكن هذا شأن هذه اللّقاءات، أن تعطي إضاءات، والله يسلك بالنّور في قلوبنا، فيرزقنا البيان، ويرزقنا اليقين، ويزيدنا من هذا النّور، الله المسؤول وحده أن يدخل هذا النّور إلى قلوبنا، وأن يزيده، وأن يجعله بصيرة نسلك به، اللّهم آمين.

من أجل أن نحقّق هدفنا: وهو المرور على أغلب المواطن الّتي وردت في ذكر إبراهيم في القرآن؛ ننتقل لسورة الأنعام، وهكذا نكون قد عرفنا أنّ ورد ذكره في سورة البقرة، وهو أوّل المواطن كما تبيّن لنا؛ ورد أيضًا ذكره في آل عمران، فمعناها ما ننسى أنّه قد ذُكِرَ في الزّهراوين البقرة وآل عمران، وذُكِرَ أيضًا في النّساء مثلما تناقشنا أمس، فأصبحت البقرة وآل عمران والنّساء قد حملت أخبار إبراهيم عليه السّلام.

## خبر إبراهيم عليه السّلام في سورة الأنعام:

الآن سننتقل إلى سورة الأنعام، وخبر إبراهيم عليه السّلام في الأنعام مشهور جدّا، وكثيرًا ما يُناقش، وهو خبر مُناظرته لأبيه وقومه في ملكوت السّماوات والأرض.

ونؤكّد أنّه كثيرًا ما يحتجّ الله على مُشركي العرب بأحوال إبراهيم عليه السّلام، كما يحتجّ على اليهود والنّصارى بأحوال إبراهيم عليه السّلام، ولذلك تكرّر ذكره، وهذا طبعًا بسبب أنّ **جميع الطّوائف والمِلل كما مرّ معنا يعترفون بفضله**، فالمشركون كانوا مُعترفون بفضله، مقرّون أنّهم من أولاده، والنّصارى والمسلون كلّهم مُعظّمون له، معترفون بجلالة قدره، فمن النّقطة المُشتركة يحصل النّقاش والجِدال وهي قَبولهم لإبراهيم عليه السّلام.

فتأتي سورة الأنعام، السّورة العظيمة، سورة التّوحيد، سورة عظيمة يظهر فيها التّوحيد بكلّ ملامحه، حتّى التّوحيد في الهداية، بمعنى: أنّ الله وحده هو الّذي يهدي النّاس هداية توفيق، وإن كانت الرّسل تقوم بهداية الإرشاد.

على كلّ حال في هذه السّورة الّتي هي سورة التّوحيد وإظهاره بكلّ صوره، أتت هذه القصّة حيث حكى لنا فيها ربّنا حال إبراهيم في سياق الاحتجاج على المُشركين.

وسنبقى نُذكّر أنفسنا لماذا إبراهيم له هذا السّبب عند ربّه؟ ما ننسى أبدًا أنّ ربّنا قد قال في كتابه **{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}**[1] إبراهيم قد وفّى بعهد العُبوديّة، فالله عزّ وجلّ وفّى له بنشر طِيبِ ذكره، وأنت سِرْ في طريقه سترى كيف الله عزّ وجلّ يُطيّبُ ذكرك، ولا تظنّ أبدًا أنّ طيب الذّكر شَرْطُهُ أن يكون في الدّنيا، بمعنى: أنّك يجب أن تكون غايتك أن توفّي لله حقّه، وأن تعبده ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وتُريد أن يرفع الله عزّ وجلّ ذكرك، وأهمّ شيء يرفع ذكرك عنده، فيحصل من نعمة الله أن يُرفَع لك ذكرك في السّماء، ويُرفَع لك ذكرك في الأرض، وسنكرّر بأنّ هذا لا يكون غاية بقدر ما يكون الإنسان مُشتاقًا أن يكون له مكانة عند ربّ العالمين.

وأحسن شيء نذكّر هنا بموقف البخاري، موقف يحمل الألم ويأتي بالحزن، لكن انظر كيف عامله ربّه؟ هذا البخاري الّذي عنده كلّ هذه الشّهرة عند المسلمين، والرّفعة! لمّا مات ربّما ما اجتمع في جنازته عشرة! والسّبب أنّ أعداءه قد اضطرّوه حتّى خرج إلى قرية خارج بَلَده سمرقند؛ وكان في هذه القرية لديه أقرباءه فنزل عندهم. وكان هذا في شهر رمضان، ما تمّ الشّهر إلاّ وقد مات، وصلّى عليه أهل القرية ودفنوه.

كان هذا حال هذا الرّجل الشّهير، حتّى أنّه هناك من أخبر عنه أنّه كان يُصلّي في اللّيل فقال: (اللّهمّ قد ضاقت بي الأرض بما رحُبت، فاقبضني إليك) هذه هي حالته! ثمّ ما ترى من شُهرته اليوم! قبضه الله فرفعه.

فالمقصد **{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}** وإبراهيم عليه السّلام وفّى بعهد العبوديّة، والله عزّ وجلّ رفعه ورفع ذكره.

---

[1] [البقرة: ٤٠]

وقد مرّ معنا شهادة الله عزّ وجلّ بذلك، مرّ معنا في سورة البقرة على وجه الإجمال {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} وأيضًا في سورة البقرة {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[٢] إذًا هذا من إتمام الكلمات، وهذا من مُجمل الإتمام بالعهد، وأتت تفاصيل كثيرة تدلّ على أنّه وفّى بالعهد، من هذا أنّه ناظر في إثبات التّوحيد، وإبطال القول بالشّرك، وهذا من أعظم وفائه، ومن أعظم تَتْمِيمِهِ لعهد العبوديّة، يعني: قام التّوحيد في نفسه جعله مشغولًا جدّا بإظهار التّوحيد، وبالمناظرة في إثباته، وكان له أنواع من المناظرات:

- ✓ ابتدأ بمناظرةٍ مع أبيه لمّا قال له: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}[٤]
- ✓ وناظر مع قومه مثل الموقع الّذي نحن فيه: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}[٥]
- ✓ وناظر مع قومه مرّة أخرى لمّا قالوا في النّهاية: {حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ}
- ✓ وناظر مع مَلِكِ زمانه {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ}[٧]
- ✓ وبعد كلّ هذا الدّفاع عن التّوحيد، سبحان الله يُبتلى {إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}

فهذا الآن حال إبراهيم عليه السّلام الّذي يهمّنا والّذي نفكّر فيه.

ننظر الآن في الحال الثّانية: نفس هؤلاء الّذين سيناظرهم إبراهيم عليه السّلام، ما الّذي أدخل عليهم الشّرك؟ ما الّذي أتى بهذا النّوع من الشّرك الّذي هو شرك الكواكب؟ أوّلًا لابدّ أن نتّفق أنّ العالم ليس فيه أحد يُثبت أنّ لله تعالى شريكًا يساويه في قدرته، وفي علمه، وفي حكمته، أبدًا؛ فهذه هي الحقيقة لكن سنرى كيف وصلوا لمثل هذه الحال؟ الّتي هم عليها لكي نتصوّر كيف أتى جدالهم.

الوحيدين الّذين أثبتوا شريكًا لله مساويًا له، هم: المجوس المثنويّة، الّذين يثبتون إلهين، فيقولون أحدهما حكيم يفعل الخير، والثّاني شرّير سفيه يفعل الشّر.

وطبعًا هذه هي كذبة الإلحاد اليوم! فالإلحاد كلّه مبني في إنكار الإله، أنّه كيف الإله يفعل الشّرّ؟ المشكلة أنّ أصحاب الإلحاد هم أصحاب فكرة **النّسبيّة الأخلاقيّة**، هم الّذين يقولون لما نقول لهم الزّنا جريمة، يقولون: لا، فإنّه بالنسبة لك جريمة ولكن بالنّسبة لهم ـ وهم راضون بها ـ فهي ليست جريمة؛ نقول الشّذوذ الجنسي يُخالف

---

[٢] [البقرة: ١٢٤]
[٣] [البقرة: ١٣١]
[٤] [مريم: ٤٢]
[٥] [الأنعام: ٧٦]
[٦] [الأنبياء: ٦٨]
[٧] [البقرة: ٢٥٨]
[٨] [الصافات: ١٠٢]

الفطرة السّويّة، قبيح بل تجعلك ما تستطيع أن تفكّر فيه، يقولون لك: لا فإنّ هذا بالنّسبة لك أنت قبيح، لكنّه لغيرك ليس قبيحًا، أصحاب النّسبيّة الأخلاقيّة هم الّذين يأتون يحتجّون فيقولون: الإله لا يفعل الشّرّ، طيّب أنت بالنسّبة لك هو شرّ لكن في حقيقته خير، فهنا المفروض أين تُطبّق النّسبيّة وتقول لا يوجد شرّ محض في الدّنيا، ولا تستطيع أن تقول: شرّ محض تحرم أبناءك بعض الملذّات طلبًا لصلاح شأنهم، يعني: أنت الآن شرّير وليس لديك أعذار لهذا التّصرّف.

فهؤلاء المثنويّة لكي يحلّوا هذه المشكلة، طبعًا هم في الأساس يريدون أن يجمعوا بين شعورهم أنّه لابدّ أن يكون هناك إله، وأنّ العالم لا يستقيم إذا لم يكن هناك إله، فلكي يحلّوا هذه المشكلة الّتي نشأت عندهم في تفكيرهم العقيم، قالوا إذًا هناك إله للخير وإله للشّرّ!

دعونا نؤكد هذا: فإذًا من جهة الرّبوبيّة، فإنّه لم يحصل في العالم اعتقاد أنّ هناك شريك مُساوي لله في كماله وحكمته ورحمته؛ واتّفقنا كيف أنّ الْمَثْنَوِيَّةُ قد شذّت؟ وأصلًا الْمَثْنَوِيَّةُ تقول: ما تقول أنّه هناك مُساوي لله وإنّما تقول هناك إله للخير وإله للشّرّ، فتبقى تُفرد الله بالعلم وبالحكمة، يعني تفرد إلهً واحدًا بالعلم وبالحكمة، وتقول بأنّه هناك ثاني يتصرّف بالشّرّ كما يعتقدون. فإذًا الرّبوبيّة نحن متّفقون عليها، أنّه لا يوجد أحد يعتقد أنّ هناك شُركاء.

لكن هناك ملحدين قد أنكروا وجود الله، وهؤلاء شأنهم معروف أنّهم: {جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}[٩]

فإذًا في النّهاية كلّ الخلق اتّفقوا على توحيد الرّبوبيّة؛ أرجو أن يكون الأمر لكم واضحًا.

نأتي الآن إلى مشكلة الاشتغال بعبادة غير الله؛ الذّاهبون إلى هذاكثيرون، الّذي هو توحيد الألوهيّة بالنّسبة لنا يُعتبر الآن _ توحيد العبادة _ ومنهم عَبَدَةِ الكواكب.

وعَبَدَةِ الكواكب هؤلاء نفسهم هم الّذين سيواجهوننا الآن مع إبراهيم عليه السّلام؛ هم أيضًا تطوّروا في التّفكير المُنحرف، وأخذ بهم الشّيطان أودية، فاعتقدوا أوّلا أنّ الكواكب خلقها الله سبحانه وتعالى، وفوّض تدبير هذا العالم السُّفلي إليها، وسنرى كيف وصلوا إلى هذا التّفكير؟

فمعناها من هو الّذي يُدبّر الكون عندهم؟ **الّذي يُدبّر الكون عندهم هذه الكواكب نتيجة التّفويض؛** ولابدّ أن نعرف أنّ فكرة التّفويض هذه موجودة حتّى عند النّصرانيّة اليوم: الله خلق الكون وفوّض لك إصلاحه، فمعناه أنّه فوّض لك أن تعبد نفسك، فيصبح الإنسان إله الكون!

[٩] [النمل: ١٤]

دعونا الآن في عبدة الكواكب، اعتقدوا أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الكواكب، وفوّض تدبير هذا العالم السّفلي لها! فماذا عليهم الآن؟ عليهم أن يعبدوا هذه الكواكب! والكواكب تعبد الله وتطيعه!

انظري كيف عبث بهم الشّيطان؟ أنّهم هم عليهم أن يعبدوا الكواكب! والكواكب هي من تعبد الله! ثمّ تطوّروا إلى أن حصل منهم غُلُوٌّ في شأن الكواكب! وجعلوها هي المُوجدة! والمُدبّرة! وهي الّتي تستحقّ العبادة بنفسها!

لماذا وصلوا إلى مثل هذه الحال؟ المُلاحظة الّتي لم يكن تفسيرها صحيحًا هذا هو السّبب، بمعنى أنّ النّاس رأوا تغيّرات أحوال العالم، يعني: رأوا العالم يتغيّر ويحصل فيه تغيّرات، فرأوا أنّ هذه التّغيرات بحسب قرب الشّمس وبعدها؛ مثلًا:

أحد الأمور الظّاهرة مثل الفصول الأربعة فهي يحصل بسببها تغيّرات في الأرض، والفصول الأربعة ناتجة عن قرب الشّمس وبعدها، فرأوا تأثير قرب الشّمس وبُعدها عليهم، أيضًا ترصّدوا أحوال سائر الكواكب؛ فالآن بدأ الشّيطان يُفسّر لهم أنّ السّعادة والتّعاسة مرتبطة بقرب الكواكب وبعدها!

فإذًا هنا ملاحظة وتفسيرات شيطانيّة، فلو بدأنا بملاحظ الفصول الأربعة، هم لاحظوها، ولكن لمّا أتوا يفسّرون كان تفسيرهم باطلاً، بمعنى: أنّ الملاحظة صحيحة بينما التّفسيرات باطلة!

وهذه أظنّها علّة كلّ زمان! بأن يُلاحظوا أفعال الله ثمّ يأتون يفسّرونها على هواهم تفسيرات شيطانيّة! للهروب من أمر الله، وللهروب من طاعة الله ومن شكر الله.

وأظنّ أنّه في زمننا الحاضر **الدّاروينيّة** هي أكبر مثال، لأنّها كما يقولون أنّها اعتمدت على الملاحظة، ولمّا لاحظ ما لاحظ، وهذا طبعًا إن صدق في ملاحظته! خرج بنتيجة: أنّ العالم يتطوّر، فصار العالم عنده فاعلًا يتطوّر! وبعد ذلك لا تسألي عن الشّيطان إلى أيّ وادٍ ذهب به! فلمّا يأتي الانحراف لا تستعجب من الأودية الّتي يسقط فيها هؤلاء.

على كلّ حال فحتّى هذا النّوع من الشّرك قد تطوّر:

فقد بدأ من أنّ الكواكب مخلوقة من ربّها وأنّه قد تمّ التّفويض لها، فيعبدوها والكواكب تعبد ربّ العالمين! ثم وصلوا في الغلوّ أن جعلوا الكواكب هي الفاعلة!

لكن ما بالهم يعبدون الأصنام بعد ذلك؟ لأنه كما سيأتينا بعد هذا أنّه سيكسّر أصنامهم، فما الّذي جعلهم يميلون إلى الأصنام؟ وهم أصلًا يعبدون الكواكب؟ يعني: هذا في تفكيرهم أنّه لمّا تغيب الكواكب عن الأبصار ماذا يفعلون؟ هم اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها! ولمّا رأوا بأنّ هذه الكواكب قد تغيب عن الأبصار في أوقات كثيرة، اتّخذوا لكلّ كوكب صنم! وتفنّنوا في ضلالهم! فجعلوا لكلّ كوكب صنمًا من الجوهر أو من المعدن المنسوب إليه، فمثلًا: اتخذوا للشمس من الذّهب صنمًا! وزيّنوه بالأحجار المنسوبة إلى الشّمس! فعلى ما

يقولون: الياقوت والألماس هم يرونه بهذه الطّريقة: يفكّرون ويرون الشّبه فينسبوه لها! وفي القمر أخذوا الفضّة، واستمرّوا على مثل هذا القياس.

فأقبلوا على عبادة هذه الأصنام ـ يعني شيء عجيب ـ فانظري كيف أنّهم عبدوا الأصنام وغرضهم كان عبادة الكواكب والتّقرّب إليها! وعبادة الكواكب والتّقرّب إليه هي بمثابة النّائبة عنهم في عبادة الله! وهذا كلّه قد أبعدهم عن توحيد الله، وعن اتّباع الرّسول لـمّا سيأتيهم الآن.

فإذًا المقصود الأصلي من عبادة هذه الأصنام هو عبادة الكواكب، والمقصود من عبادة الكواكب هو النّظر إليها على أنّها فوّضها الله، بأن فوّض لها التّدبير ومن ثمّ عبدوها! وهم في تفكيرهم أنّها هي تعبد الله بالنّيابة عنهم!

**الآن ماذا يفعل الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه لـمّا يأتون؟**

١. أوّلاً: يقيمون الدّلائل على أنّ هذه الكواكب **لا تأثير لها البتّةَ** في أحوال العالم، ويؤكّدون على أنّه {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[١] .

٢. ويؤكّدون أنّ هذه الكواكب **مسخّرة** وليست فاعلة.

ولابدّ أن نتصوّر في وضعنا اليوم في العصر الحديث، فالكواكب مازال لها تأثير في مسألة التّعبّد؛ فإنّهم على الأقلّ لـمّا يردون أن يهربوا من دلائل توحيد الله، الّذي هو تسخير الكون كدليل على أنّ الله وحده، هو المستحقّ للعبادة، لـمّا يريدون أن يهربوا من هذا ماذا يفعلون؟ يعودون إلى كلّ ما يُسمّونه بالظّواهر الطّبيعيّة وينسبونها إلى حركة الكواكب! لماذا يمطر المطر؟ لأنّ الشّمس تُبخّر الماء! ولأنّ الماء لـمّا يصعد في السّماء يثقل! وكذا! وكذا! وكذا!

طبعًا هذا الكلام هو نفسه كلام أرسطوا! يعني: **ليس هذا كلامًا علميّا اكتشفوه اليوم!** وإنّما هذا الكلام قديم حيث هو الّذي يُمثّل عقيدتهم؛ وكلّ عقيدة من هذه العقائد فرض يفترضونه ليهربوا من أن يكون الله هو المستحقّ للعبادة، وفي هذا الفرض يساعدهم الشّيطان على ترتيبه وعلى تنسيقه! فتفهمين أنّه {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}[٢] كما قال سبحانه وتعالى في وصفهم وحالهم! صحيح أنّ هؤلاء الفلاسفة ليسوا بشعراء لكنّهم في منزلتهم. وخصوصًا أنّهم يقولون ما لا يفعلون بمعنى: أنّهم يقولون ما لا يستطيعون في أنفسهم أن يعتقدونه، فما يستطيع أن يقول في نفسه أنّه معتقد هذا الاعتقاد، فنفسه رغمًا عنه تقول لا إله إلاّ الله!

---

[١] [الأعراف: ٥٤]

[٢] [الشعراء: ٢٢٤]

إذًا فما هو دور الأنبياء؟ دورهم هو **إقامة الدّلائل على أنّ هذه الكواكب لا تأثير لها البتّة** في أحوال العالم؛ **وهذا يفعله الأنبياء، ويفعله كلّ من سار على طريقهم.**

وفرّقي بين أنّ الكواكب لا تأثير لها في الأرض، ولا تُفَسَّرُ أفعال الله بأفعال الكواكب أبدًا بأنّ الكواكب هي الّتي فعلت، فرّقي بين هذا وبين أنّ الله عزّ وجلّ جعل لكلّ شيء قَدَرَهُ، فجعل أزمنة معيّنة يحصل فيها أفعالا معيّنة لله، فهذا تقديره سبحانه وتعالى؛ فبحركة الشّمس قدّر الله أن تأتي هذه الفصول، وقدّر الله أن ينبت هذا النّبات بقرب الشّمس أو ببعدها كما شاء الله.

_كما شاء الله _ فنحن نثبت ما أثبته الله، ولاحظي أنّ تفسير هذا كلّه ليس له علاقة في الحقيقة بالحضارة المدنيّة، يعني: **واقعيّا التّقنية والتّطوّر فيها، ليس لها علاقة بنظريّة دارون** من أيّ وجه كان أبدًا، فالتّطوّريّة في الخلق أنّه نحن أصلنا خليّة حقيرة وتطوّرت فأصبحت قردة ثمّ أصبحت إنسانًا، هذه ليست لها علاقة لا بصناعة الجوّالات ولا بصناعة الحواسيب ولا الطّائرات ولا أيّ شيء أبدًا، ليس له علاقة.

واليوم انتهينا من القردة، فجاؤوا يقولون أنت غبار كونيّ جرّاء اصطدام الكواكب مع بعضها! فانظري كيف هم يدورون ثمّ يعودون مرّة أخرى إلى الكواكب وإلى حركتها وينسبون لها أحوالا أرضيّة، هذا طبعًا غير ما نجده واضحًا في الكلام عن التّنجيم وما يتّصل به.

فإذًا هذا أوّل دَوْرٍ للأنبياء: بيان أنّه لا تأثير أبدًا للكواكب.

و أنّ هذه الكواكب إنّما هي من عطايا الله، وإنّما هي من آثار نعمة الله عزّ وجلّ على الخلق، فلا تُشْكَرُ هي وإنّما يُشْكَرُ مسخّرها، فتصبح الكواكب بمثابة دليل على الألوهيّة وليست هي الآلهة.

فالآن لمّا سنقرأ في مجادلة إبراهيم عليه السّلام لقومه، سيظهر أنّ إبراهيم عليه السّلام قد أقام الدّليل على أنّ الكواكب والقمر والشّمس **لا يصلح منها للألوهيّة إنّما هي دليل على الإله.** لأنّ حركتها، ظهورها واختفاءها يدلّ على أنّه هناك من يُدبّرها، ولا يمكن أن تعتقد أنّ هذه المُدَبَّرَة قد فُوّض لها تدبير العالم، وأنّ العالم قد قسّم أقسامًا وكلّ كوكب مسؤول عن قسم من هذه الأقسام، بمعنى: أنّه هناك كوكب مسؤول عن تدبير البحار، وكوكب عن الجبال، وكوكب عن هذه الغيوم، إلخ. ثمّ بعد ذلك يأخذون أصنامًا لهذا الأمر، ويطلبون من كلّ صنم نفس الأفعال _ دوّامة _ فهذا كلّه باطل.

بمعنى: **أنّ إبراهيم عليه السّلام سيحاجّهم في هذين الشّأنين:**

١. **الشّأن الأوّل:** أنّ هذه لا تصلح أن تكون آلهة مُدَبِّرَة لأنّها مُدَبَّرَة.

٢. **الشّأن الثّاني:** ولا يمكن للمُدبِّر أن يفوّض إليها بشيء من التّدبير، أيضًا بنفس العلّة أنّها مدبَّرة.

دعونا نبدأ اليوم مع الآية الأولى الدّالّة على أنّ إبراهيم عليه السلام قد قام بهذا الشّأن العظيم، وهو مُجادلة أهل الشّرك؛ وهذا الموطن الّذي في سور الأنعام قد جُمِعَ فيه:

- مجادلته لأبيه.
- ومجادلته لقومه.

فبدأ بأبيه:

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

وقد فهمنا الآن ما علاقة الأصنام بالكواكب، لأنّه بعد ذلك سيأتي جداله مع قومه على الكواكب، فهم اتّخذوا الأصنام في الأرض رمزا للكواكب في السّماء يدعونها وقتما تغيب، وهذا الفعل نفسه يدلّ على أنّ **الفطرة الإنسانيّة لا تقبل أبدًا أن يكون الإله غائبًا**، فلابدّ أن يكون إلهها الّذي تعبده **قريبًا، لا يغيب، دائما معها**؛ فَبُدأ النّقاش عن إبراهيم عليه السّلام وجداله مع أبيه، وهذا أتى تفصيله في سورة مريم.

دعونا الآن نُؤكّد على شأن مهمّ وهو في أيّ سياق أتى الكلام عن مجادلة إبراهيم لقومه، يعني: ماهي الآيات الّتي تسبق هذه المجادلة، وأتت المجادلة كشاهد عليه؟

لمّا ننظر في المصحف سنجد أنّ السّياق القريب يبدأ من الآية ٧٠:

{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)}

لمّا يأمر الله عزّ وجلّ رسوله بأن يترك {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} يعني: أترك هؤلاء الّذين لمّا دُعُوا إلى الإسلام استعملوا السّخرية والاستهزاء، وغرّتهم الحياة الدّنيا، لأنّهم اطمأنّوا بها وزعموا أنّه لا حياة بعدها

[١] [الأنعام: ٧٤]

[١] [الأنعام: ٧٠_٧٣]

أبدًا، وأنّ السّعادة في لذّاتها، أو حتّى لو اعتقدوا أنّ هناك حياة بعدها، فإنّهم اعتقدوا أنّ الله ما دام قد أعطاهم في الحياة الدّنيا فلابدّ إذًا أن يكون لهم مكانة في الآخرة! {وَذَرِ الَّذِينَ} بمعنى: أعرض عندهم ودعهم ولا تبالي باستهزائهم وتكذيبهم، لأنّهم إذَا أصرّوا على هذه الحال، حتما لصائرون إلى عذاب عظيم.

فإذَا ما تركهم، قال: {وَذَكِّرْ بِهِ} يعني: ذكّر النّاس بهذا القرآن، {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ} يعني: أن تَرْتَهِنْ بسوء كسبها، وأن يقع لها غرور بإهمال الآخرة، والإبسال بمعنى: الإسلام للهلكة، يعني: أنّهم يهلكون بهذا الاعتقاد، الّذي هو الغفلة عن يوم القيامة.

وأتى الكلام عمّا يكون في يوم القيامة، إذًا أترك هؤلاء الّذين يستهزؤون، وأخذوا دين الإسلام استهزاء، {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وأنّهم يُحاسبون عليها؛ وبدأ النّقاش معهم: {قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} يعني: كيف نترك التّوحيد؟ ونعود لملّة ندعو فيها من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرّنا؟ ولاحظوا هذا المعنى، لأنّ هذا المعنى هو الّذي سيجرّنا إلى المناظرة {وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا} يعني: بعدما وحّدوا واستقاموا، لا تجادلونا أن نعود إلى الشّرك لأنّه يُعتبر ردّ على الأعقاب، وهذا زيادة في تقبيح صورة الشّرك، فإنّ هذا شيء نبذناه وتركناه وراء ظهورنا، فلا يمكن أن نعود إليه {بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} هدنا الله للتّوحيد، وهدنا الله للإسلام، أنقذنا من أن نكون عبيدًا لغيره، فلو فعلنا هذا نصير كالمستمرّ على الضّلال بل {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} يعني: استمالته عن الطّريق الواضح، {الشَّيَاطِينُ} الّذين هم مَرَدَةُ الجنّ، كان يمشي في طريق، والطّريق الواضح فاستمالته وجعلته يميل عن الطّريق، {فِي الْأَرْضِ} القفراء، المُهلكة {حَيْرَانَ} حيران، تائه، ضال عن الجادّة، لا يدري كيف يصنع {لَهُ} يعني: هذا الّذي استهوته الشّياطين {أَصْحَابٌ} بمعنى: رفقة {يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى} إلى الطّريق المستقيم، يعني: يقولون له ائتنا وهو مصرّ على متابعة الشّياطين، فلا يجيبهم، ولا يأتيهم.

فكأنّه هنا صورة _ والله أعلم _ أنّه شُبِّهَ بها حال من خلّصه الله من الشّرك، مثل حال الّذي كان ماشيًا في طريق مع أصحابه، ثمّ أتت مردة الجنّ استمالته، فبقيت تقول له اترك طريقهم فالطّريق من هنا هو الّذي يوصلك! بعد أن كان مع الجادّ مع أصحابه، ذهب مع هؤلاء، ولمّا ذهب لم يعد يعرف ما هو مقصده الّذي هو سائر إليه، لكنّه مصرّ أنّ هذا هو الصّواب! وهناك رفقة تناديه لتهديه، وهو لا يسمع لهم! ولكن لا يوفّق الإنسان إلى الهداية إلاّ الله.

فإذًا هذا الّذي استهوته الشّياطين، يعني: كأنّه هُوِيَ به إلى الأرض، فكان في موضع عالٍ ونزل إلى السّفول، فهذا يُشبه {فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ} فتصوّري ـ ونحن الآن نريد أن نتصوّر الصّورة الحسّيّة ـ [1]واحدا كان ماشيًا مع أصحابه في طريق مستقيم واضح، متوجّهين نحو مقصدهم، يرون طريقهم، ثمّ يأتي أحدهم يوسوس له يقول له: (لا، فالطّريق ليست من هنا، سيضيعونك، تعال) فتأخذه فتلقيه في هذا المكان، في وَهْدَةٍ [2] عميقة مظلمة، فأكيد أنه يكون في غاية من الاضطراب والضعف؛ فالاستهواء: هو نُزول من الموضع العالي إلى الموضع السّافل، وتَلمح في ذلك اتباع الهوى، والميل، فيكون في غاية من الحيرة {حَيْرَانَ} متردّد في الأمر، لا يعرف من أين يخرج، فهو الآن متحيّر، متردّد، خائف، كلّما سلك طريقًا وجد نفسه يسقط ويسقط، وفي هذه الحال كان {لَهُ أَصْحَابٌ} هذه هي الحالة الثّالثة الآن، فإذًا:

١. {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}
٢. {حَيْرَانَ}
٣. {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}

{ائْتِنَا} يقولون له تعال إلينا، فيُقال: {إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ} يعني: لو هداه الله عزّ جلّ كان اهتدى، لكنّه ما اهتدى، ثمّ قال الله عزّ جلّ: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} فالله عزّ وجلّ هو الّذي يهدي في باب أعمال القلوب، وفي باب أعمال الجوارح وفي الإيمان، وهذه دائرة مبنيّة على الإسلام {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

ثمّ أتى الخبر عن خلق السّماوات والأرض {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} فالآن في الآيات المتقدّمة جاء كلام عن فساد طريقة عَبَدة الأصنام، لذلك هنا قيل: لا معبود يستحقّ العبادة إلاّ الله، ما هي الدّلائل؟ خلق السّماوات والأرض، فإنّها خُلقت بالحقّ، هذا الشّيء المهمّ: خُلقت بالحقّ، يعني: للدّلالة على الحقّ؛ فكلّ ما في السّماوات والأرض إن كنت بصيرًا سترى كيف يدلّك على استحقاق الله للألوهيّة، ولذلك نحن نقول: لا معبود يستحقّ العبادة إلاّ الله {قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ} كلّ هذا يحتاج إلى وقفات طويلة معه.

**الشاهد أنّ كلّ هذه الآيات تدلّ على حال الّذي {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} ابق حذرًا بعد أن عرفت دينك، وعرفت التّوحيد، لا تدخل في مهالك، لا تدخل شيئًا لا تعرفه ولا تدري إن كان صحيحًا أم غير صحيح، حافظ على التّوحيد، وحافظ على الإيمان، واعتن به، واعلم أنّ هذا هو غاية مقصود**

---

[1] [الحج: ٣١]

[2] شرح معجم المعاني الجامع ـ الوَهْدَةُ : الأَرضُ المنخفِضة، مَكَانٌ وَهْدٌ : مُنْخَفِضٌ ، بِهِ هُوَّةٌ.

**الإنسان: ألاّ يعيش في هذه الأرض حيرانًا أبدًا، بل يعيش وهو يعرف: من أين أتى؟ إلى أين المصير؟ ماذا يجب عليه أن يفعل؟**

على كلّ حال هذا السّياق وخصوصًا: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}[١] كان مقدّمة، وأتت بعده هذه القصّة: قصّة مُجادلة إبراهيم عليه السّلام لهؤلاء الّذين استهوتهم الشّياطين، فهم حَيَارَى: هل يعبدون الكواكب؟! أم يعبدون الأصنام؟! حَيَارَى يختلقون طاعاتٍ وعباداتٍ من أجل أن يسكّنوا حاجتهم، وهم حَيَارَى! فيأتيهم إبراهيم عليه السّلام ويدلّهم على الهُدَى، ويأتي بعد ذلك أنّهم يُصرّون على حالهم، ويقولون: {اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ}[٦] فالله المستعان.

نبدأ غدًا إن شاء الله في الكلام عن الآيات مباشرة.

نسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعلنا ممّن آمن واتّقى، وأن يُبعدنا عن الشّياطين أن تستهوينا وتضلّنا، نعوذ بالله أن يُضلّنا بعد إذ هَدانا، نعوذ بالله من نفوسنا أن تنقلب علينا، اللّهمّ احفظ علينا إيماننا، وأذهب عنّا الشرّ كلّه، نحن أبناؤنا والمسلمين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يُلقي في قلوبنا الهُدَى والتُّقى، ويُلقي ذلك في قلوب أبنائنا، اللّهمّ أصلحنا وأصلح أبناءنا، واحفظنا من الشّرّ واحفظ أبناءنا، واجز عنّا والدينا بخير الجزاء، اللّهمّ آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[١] [العنكبوت: ٢٤]